

#### 4. محاكمات يسوع وجلده

آخر يوم لیسوع على الأرض

رابط فيديو يوتيوب مع ترجمة إلى 70 لغة: <https://youtu.be/1ZQ637TPnCM>

لقد كانت السياسة جزءًا لا يتجزأ من التجربة الإنسانية منذ فجر الحضارة. تعريف السياسة في ويكيبيديا مستمد من الكلمة اليونانية politikos، التي تعني "تتعلق بالمواطنين أو من أجلهم أو لهم". وهي تصف "ممارسة ونظرية التأثير على الآخرين على المستوى المدني أو الفردي". قدم الكوميدي روبرت ويليامز تفسيرًا مختلفًا للكلمة. قال إن كلمة "سياسة" مشتقة من كلمة "بولي" التي تعني "كثير" و"تيكس" التي تعني "طفيليات ماصة للدماء". السخرية السياسية موجودة منذ وجود الأحزاب السياسية. غالبًا ما يعد السياسيون بشيء ويفعلون شيئًا آخر. وقد عرّف أحد الكوميديين "السياسي" بأنه "الشخص الذي يصفحك قبل الانتخابات ويصافح ثقتك بعدها". من الصعب ربط السياسة بالحقبة. في الكفاح من أجل الحقيقة، غالبًا ما تقمع السياسة الحقيقة أو تتجاهلها من أجل الحصول على السلطة أو الحفاظ عليها. عند دراسة محاكمات يسوع، من الضروري أن ندرك أن يسوع خلق معضلة سياسية للقادة الحاكمين وبونتئوس بيلاطس، الذين واجهوا قرارًا بشأن إدانته أو براءته.

في عصرنا الحالي، نرى السياسة تقسم البلد والمجتمعات وحتى عائلاتنا. لم يكن الأمر مختلفًا في زمن يسوع. وُلد المسيح في عالم يعاني من الاضطهاد السياسي. على خلفية الظلم والمؤامرات البشرية والصراعات على السلطة، عانى يسوع كإنسان وهزم الموت كمخلص. إنه نور في وسط الظلمة، يكشفها ويتحددها.

محاكمة يسوع أمام قيافا والسندهريم

بعد المقابلة مع حنان، رئيس الكهنة السابق، أخذ يسوع عبر الفناء إلى رئيس الكهنة قيافا لمحاكمته أمام السندهريم، المجلس الحاكم اليهودي. كانت هذه المحاكمة، وفقًا للشريعة اليهودية، غير قانونية من نواح عديدة. على سبيل المثال، عُقدت في الليل، وهو ما تحظره الشريعة اليهودية. بالإضافة إلى ذلك، لم يكن لیسوع محام للدفاع عنه، بينما حاول رئيس الكهنة تخويله. اختلف الشهود، فغضب قيافا وأمر يسوع أخيرًا بالرد على التهم تحت القسم، وبذلك حبزه أمام شهود الله الحي: "أقسم لك بالله الحي أن تقول لنا إنك أنت المسيح ابن الله" (متى 26: 63). يقدم لنا مرقس رد يسوع:

60 فقام رئيس الكهنة أمامهم وسأل يسوع: «ألا تجيب؟ ما هذا الشهادة التي يشهد بها هؤلاء الرجال عليك؟»<sup>61</sup> ولكن يسوع ظل صامتًا ولم يجيب. فسأله رئيس الكهنة مرة أخرى: «هل أنت المسيح، ابن المبارك؟»<sup>62</sup> قال يسوع: «أنا هو». «ويسترون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القدير وأتيا على سحاب السماء». (63) فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال: «لماذا نحتاج إلى شهود آخرين؟ لقد سمعتم التجديف. ما رأيكم؟» فحكموا جميعًا عليه أنه مستحق الموت. (65) ثم بدأ البعض يصفقون عليه، وعصبوا عينيه، وضربوه بقبضاتهم، وقالوا: «تنبأ!» وأخذوا الحراس وضربوه (مرقس 14: 60-65).

لاحظ مرة أخرى استخدام يسوع لاسم الله الإلهي، أنا هو (آية 62). هذا الرد على رئيس الكهنة حسم مصير يسوع مع شيوخ اليهود الحاكمين. انتهت المحاكمة عند هذه النقطة، "لماذا نحتاج إلى شهود آخرين" (آية 63). أدين المسيح لأنه أكد بثقة أنه هو الذي كتب عنه النبي دانيال، أي الذي يُدعى ابن الإنسان، المسيح، الذي سيجلس على عرش داود وسُيعبد:

13 في رؤياي في الليل نظرت، وإذا واحد مثل ابن الإنسان أت مع سحاب السماء. وتقدم إلى القديم في الأيام وأقيد أمامه. (14) وأعطى سلطانًا ومجدًا وملكًا، فسجدت له جميع الشعوب والأمم واللغات. وملكوته ملكوت إلى الأبد لا يزول، وملكوته لن يُدمر (دانيال 7: 13-14؛ التأكيد مضاف).

بعد أن أصدر قيافا والسندهريم حكمهم على المسيح، كتب مرقس أنهم بصقوا على يسوع لأنه قال كلاماً اعتبروه تجديفًا. ثم عُصبت عينا المسيح حتى لا يستطيع أن يتوقع الضربات التي سيوجهها إليه أعضاء السندهريم في ذلك الصباح (مرقس 14: 65). كما ذكر لوقا أنهم ضربوه بقبضاتهم وضربوه قبل أن يقدموه إلى بيلاطس (لوقا 22: 63).

السياسة التي أثرت على بيلاطس البنطي

مرة أخرى، أثرت السياسة على القرار الصعب الذي كان على بيلاطس اتخاذه عندما واجه الحقيقة عن يسوع المسيح. دعونا ندرس العوامل السياسية التي أثرت على قرار بيلاطس عندما واجه الحقيقة نفسها، الرب يسوع. كيف وجد حاكم روماني نفسه في موقف يحكم على رجل يهودي متهم بالكفر من قبل مجلس ديني يهودي؟

يذكر كتاب الشريعة اليهودية المعروف باسم التلمود أنه قبل عامين من صلب المسيح، سُحبت من إسرائيل سلطة الحكم في قضايا الحياة والموت. فقد أصدر تيبيريوس قيصر مرسوماً يقضي بأن الحاكم أو الوالي هو وحده الذي يملك سلطة إعدام أي شخص. ولهذا السبب أحضر السنهدريم يسوع إلى السلطات الرومانية لتنفيذ الحكم.

كانت يهودا (إسرائيل) معروفة بأنها منطقة يصعب حكمها. تم اختيار بيلاطس البنطي كوكيل يهودا لأنه كان معروفًا بأنه شخص لا يتسامح مع هراء من يخضع لسلطته. ومع ذلك، بدأ بيلاطس في ارتكاب الأخطاء فور وصوله. اندلعت أعمال شغب بين اليهود ردًا على القرارات التي اتخذها. خلال إحدى هذه الأعمال، اتخذ بيلاطس إجراءات سريعة ضد اليهود. تعامل بعنف في قمع المتظاهرين، مما تسبب في مقتل العديد منهم. في غضون أيام، قدم قادة اليهود التماسًا إلى تيبيريوس قيصر لإقالة بيلاطس من منصبه. أدرك بيلاطس أنه يجب أن يكون حذرًا من مشاعر اليهود. فقد تكلفه أعمال شغب أو انتفاضة أخرى وظيفته. كان في موقف هش.

### المطالبة بإعدام يسوع

كان الوقت قد أصبح فجرًا، حوالي الساعة السادسة صباحًا، عندما وصلت مجموعة من الشيوخ والرب يسوع ورئيس الكهنة إلى مقر بيلاطس في أورشليم. لم يدخل اليهود المبنى بسبب قانون كتابي ينص على أن بيوت غير اليهود غير ظاهرة من الناحية الطقسية بالنسبة لليهود. ينص قانون الفصح على أنه قبل أيام من الفصح، يجب تنظيف المنزل تمامًا وإزالة كل الخميرة (الخميرة) قبل بدء الأيام السبعة من عيد الفطير، الذي يبدأ في يوم الفصح (خروج 12: 15). بعد التواجد في منزل غير يهودي، قد يستغرق التطهير الطقسي من يوم إلى سبعة أيام، اعتمادًا على ما تم لمس داخل المبنى.

28 ثم أخذ قادة اليهود يسوع من قيافا إلى قصر الوالي الروماني. وكان الوقت قد أصبح صباحًا مبكرًا، ولتجنب النجاسة الطقسية لم يدخلوا القصر، لأنهم أرادوا أن يتمكنوا من أكل الفصح. (29) فخرج إليهم بيلاطس وسألهم: «ما هي التهم التي توجهونها إلى هذا الرجل؟» (30) أجابوا: «لو لم يكن مجرمًا، لما سلمناه إليك». (31) فقال بيلاطس: «خذوه أنتم واحكموا عليه حسب شريعتكم». فقالوا: «ليس لنا أن نقتل أحدًا». (32) وكان هذا ليتم ما قاله يسوع عن الموت الذي كان سيلاقيه (يوحنا 18: 28-32).

تجاهل قادة الدين العدل والرحمة، وأحضروا يسوع بشكل غير قانوني إلى محكمة جنائية، حيث تعرض للضرب وسوء المعاملة قبل أن تصدر المحكمة حكمها. كانوا أكثر قلقًا من دخول بيت غير يهودي بسبب النجاسة الطقسية. قد نرى النفاق في هذا، ولكن من الضروري أن نفهم أنه من وجهة نظرهم، كانوا يعتقدون أنهم يسعون إلى العدالة لمعاقبة شخص يعتبرونه مجرمًا ومثيرًا للمشاكل. الحقيقة كانت مجسدة أمامهم في شخص يسوع المسيح، لكنهم لم يروها. يمكن أن يحدث نوع مماثل من النفاق داخل الكنيسة أيضًا. غالبًا ما يركز الناس على قضايا ثانوية بينما يهملون الأمور الروحية الأكثر أهمية.

خرج بيلاطس إلى الشيوخ والجموع في الفناء. وسألهم: «ما هي التهمة التي توجهونها إلى هذا الرجل؟» (يوحنا 18: 29). لم يعجب رؤساء الكهنة والفريسيون أن يُسألوا هذا السؤال لأنهم لم يكن لديهم تهمة صحيحة ضد المسيح في المحكمة الرومانية. كانت تهمة دينية، وتحديدًا تهمة التجديف على الله. كانوا يعلمون أن التهمة لن تقف أمام بيلاطس. ومع ذلك، كانوا يعتقدون أن لديهم اتفاقًا مع بيلاطس بأن يتغاضى عن الأمر ويحكم على يسوع: «لو لم يكن مجرمًا، لما سلمناه إليك» (يوحنا 18: 30). كان بيلاطس يعرف بالفعل عن الغيرة والكراهية تجاه يسوع ولم يثق بهم (متى 27: 18)، لذلك كان رده عليهم: «خذوه وأنتم احكموا عليه حسب شريعتكم» (يوحنا 18: 31). لم يكن بيلاطس يتوقع أن يطلب رئيس الكهنة والشيوخ عقوبة الموت ليسوع، لذلك طلب منهم أن يتعاملوا مع المسيح بأنفسهم، خارج محكمته. ربما في هذه اللحظة اقتربت منه زوجته وحملت له تحذيرًا شديدًا، في شكل

حلم. غالبًا ما يستخدم الله فكرة أو حلمًا أو رسالة في الكنيسة أو حتى كلمات صديق ليردنا عن الخطيئة إذا كان لدينا القلب للاستماع إليها وقبولها.

بينما كان بيلاطس جالسًا على كرسي القاضي، أرسلت له زوجته هذه الرسالة: لا تكن لك شأن مع هذا البريء، لأنني اليوم عانيت كثيرًا في حلم بسببه (متى 27: 19).

سمح بيلاطس لهم أن يحكموا على المسيح بأنفسهم. لماذا لم يقبلوا كلام بيلاطس ويعدموه على الفور؟ (يوحنا 18: 31). من المحتمل أن رئيس الكهنة والشيوخ خططوا لإلقاء اللوم على الرومان في موت المسيح، وبالتالي إعفاء أنفسهم من المسؤولية. ردًا على قرار بيلاطس، قالوا: "ولكن ليس لنا سلطان أن نقتل أحدًا". قيل هذا الرد لتتم نبوءة يسوع السابقة بأنه سيُصلب. «سيُسلم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة ومعلمي الشريعة. وهم سيحكمون عليه بالموت ويُسلمونه إلى الأمم ليُستهزأ به ويُجلد ويُصلب» (متى 20: 18-19)، ويذكر يوحنا أن يسوع قال إنه سيموت برفعه. «أما أنا فمتى رُفِعْتُ مِنَ الْأَرْضِ أُجَذِبُ كُلَّ النَّاسِ إِلَيَّ» (يوحنا 12: 32). كان قادة اليهود يحاولون دحض ادعائه بأنه المسيح (المسيح) بلعنه. أرادوا أن يموت المسيح بالصلب بدلاً من طريقة الإعدام اليهودية، وهي الرجم. كان الشنق على قطعة من الخشب (شجرة) يعتبر لعنة من الله.

(22) <sup>22</sup>أعدم شخص مذنب بجريمة تستوجب الإعدام وعُرض جسده على عمود، (23) فلا تدع الجسد معلقًا على العمود طوال الليل. احرص على دفنه في نفس اليوم، لأن كل من يُعلق على عمود هو ملعون من الله. لا تدنس الأرض التي يعطيك إياها الرب إلهك ميراثًا (تثنية 21: 22-23).

وراء كل ذلك، كان الله يعمل، مستبدلاً ابنه عوضاً عنا. أخذ يسوع اللعنة التي كانت معلقة علينا. كتب الرسول بولس إلى كنيسة غلاطية أن الله كان له سبب في السماح لابنه أن يُصلب على خشبة ويحمل اللعنة:

<sup>10</sup> لأن جميع الذين يعتمدون على أعمال الناموس هم تحت اللعنة، كما هو مكتوب: «ملعون كل من لا يستمر في عمل كل ما هو مكتوب في كتاب الناموس». <sup>11</sup> من الواضح أنه لا أحد يتبرر أمام الله من الذين يعتمدون على الناموس، لأن «الصديق بالإيمان يحيى». (12) فالناموس ليس من الإيمان، بل على العكس، يقول: «الشخص الذي يعمل هذه الأشياء سيحيا بها». (13) لقد فدانا المسيح من لعنة الناموس (الشريعة) بأن صار لعنة لأجلنا، لأن المكتوب: «ملعون كل من غُلِّق على خشبة». (14) لقد فدانا لكي تأتي البركة الموعودة لإبراهيم إلى الأمم عن طريق المسيح يسوع، لكي ننال بالإيمان موعد الروح (غلاطية 3: 10-14).

يخبرنا المفسر ويليام باركلي أن الصلب «نشأ في بلاد فارس، وأصله يعود إلى اعتبار الأرض مقدسة للإله أورمزد، فكان المجرم يُرفع عنها لنلا يدنس الأرض التي يعتبرها الفرس ملكاً للإله. من فارس، انتقل الصلب إلى قرطاج في شمال إفريقيا، ومن قرطاج تعلمته روما». <sup>1</sup> صلب الرومان ما لا يقل عن 30,000 يهودي خلال احتلالهم لإسرائيل لتحذير الآخرين من عواقب معارضة روما. سعى قادة اليهود إلى أقصى درجات القسوة في قتل يسوع، بينما صدموا الشعب بلعنوا من اعتقدوا أنه المسيح. كان الله يظهر لنا أن يسوع حمل على نفسه اللعنة، التي تمثلها الأشواك على رأسه. في جنة عدن، عندما اختار آدم أن يطيع صوت الحية بدلاً من صوت الله، قال الرب: «ملعونة الأرض بسببك... أشواك وشوك ستنتب لك» (تكوين 3: 17-18). تحقيقاً لللعنة التي جلبها الصليب، «ضللوا إكليلاً من أشواك ووضعوه على رأسه» (متى 27: 29).

بيلاطس يسأل يسوع عن ملكوته (يوحنا 18: 33-38 أ)

<sup>1</sup> ويليام باركلي. إنجيل متى، المجلد 2. فيلادلفيا: وستمنستر، 1975، ص. 365.

33 ثم عاد بيلاطس إلى القصر، واستدعى يسوع وسأله: «هل أنت ملك اليهود؟» 34 فقال له يسوع: «هل هذا من عندك، أم آخرون قالوا لك عني؟» 35 فأجابه بيلاطس: «أنا يهودي؟ شعبك ورؤساء كهنتك هم الذين سلموك إليّ. ماذا فعلت؟» (36) قال يسوع: «مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت من هذا العالم، لكان خدامي يقاتلون ليمنعوا قادة اليهود من القبض عليّ. ولكن مملكتي ليست من هنا». (37) قال بيلاطس: «إذًا أنت ملك!» أجاب يسوع: «أنت تقول أنني ملك. في الحقيقة، أنا ولدت وأتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع كلامي». (38) «ما هو الحق؟» رد بيلاطس. ثم خرج مرة أخرى إلى اليهود المجتمعين هناك وقال: «لا أجد في هذا الرجل أي ذنب. (39) ولكن من عادتكم أن أطلق لكم سجينًا واحدًا في عيد الفصح. هل تريدون أن أطلق لكم «ملك اليهود»؟» (40) فصاحوا: «لا، ليس هو! أعطنا باراباس!» وكان باراباس قد شارك في تمرد (يوحنا 18: 33-40).

لم يعجب بيلاطس ما كان يحدث. فأخذ يسوع جانباً من رؤساء الكهنة وتكلم معه على انفراد في مكتبه. وسأله مباشرة: «هل أنت ملك اليهود؟» قال هذا لأن هذه كانت التهمة التي وجهها رؤساء اليهود إلى بيلاطس ليؤكدوا إدانة المسيح. لم يكن بإمكان روما أن يكون لها سوى ملك واحد، وكان هذا الملك هو قيصر. لكن في أعماقه، كان بيلاطس يشعر أن يسوع بريء، ولكن إذا أراد أن يستسلم لكبار اليهود، كان بحاجة إلى أسباب لتوجيه الاتهام إليه.

### ما الذي دفع بيلاطس إلى الاستسلام لضغط كبار الشيوخ؟ ما الذي يدفع الإنسان إلى التنازل عن قيمه؟

شعر بيلاطس بضغط هؤلاء القادة اليهود لأنه كان يعلم بالفعل أنهم سيصعدون الأمر ويشتكون إلى قيصر، مما يجعله يبدو عاجزاً عن التعامل مع الموقف. كان الخوف من فقدان ماء الوجه أو منصبه دافعاً قوياً له للتنازل عن قيمه. سأل يسوع: "هل أنت ملك اليهود؟" (يوحنا 18: 33). إذا كان بيلاطس يسأل من منظور سياسي أو دنيوي، فإن الإجابة هي لا، بمعنى أن يسوع ليس ملكاً. ملكوت المسيح ليس جزءاً من نظام القوة والترهيب في هذا العالم. ولكن إذا كان بيلاطس يسأل من منظور كتابي، فإن الإجابة هي نعم، يسوع هو ملك اليهود، وقد جاء ليشهد للحق، ليغلب، وليبطل سلطة الشيطان على الأرض.

حكم المسيح هو من نوع مختلف تمامًا. لم يقدم رد يسوع لبيلاطس أي دليل لإدانته بأنه شخص سيمحمل السلاح ضد روما. قال يسوع: "لأجل هذا ولدت وأتيت إلى العالم، لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع كلامي" (آية 37). سمح الرب لبيلاطس أن يرد على الحقيقة التي سمعها، تمامًا كما يسعى أن يفعل معنا جميعاً: أن نبتعد عن الخطيئة التي نعلم أنها ستدمر أرواحنا إذا استمرينا في السير فيها. إذا كان الإنسان صادق القلب ويبحث عن الحقيقة، فإن الحقيقة ستتردد في قلبه. حقائق الله مثل السيف الذي يجيرنا على اختيار جانب. عندما تُعرض الحقيقة علينا، تظهر خطوط فاصلة. يمكننا أن نستجيب لها بشغف لمعرفة المزيد أو أن نغلق عقولنا وقلوبنا عنها، ونرفض في النهاية حقيقة الله. عندما نسمع الحقيقة عن يسوع، يختار كل منا جانباً. لا يوجد وسط، ولا سباح نجس عليه؛ إما أن نرفض كلمة الله أو ننتهي المزيد. قال يسوع: "من ليس معي فهو ضدي، ومن لا يجمع معي فهو يفر" (متى 12: 30).

أجاب بيلاطس بسؤال: "ما هي الحقيقة؟" كان يعتقد أن الحقيقة هي ما يصنعها المنتصرون في أي حرب. غالباً ما يشكل الرجال الفاسقون التاريخ لخدمة أجدانهم الخاصة، ويحببون الحقيقة عن الناس. للأسف، لم يطرح بيلاطس أي أسئلة أخرى ليجد الحقيقة من شفاه يسوع. في هذه المرحلة، كان يريد فقط مخرجاً من هذا المأزق. لم يكن يريد أن يخاطر بمسيرته المهنية في موقف لا يمكن الفوز فيه.

هل تتذكر اللحظة التي سمعت فيها الحقيقة عن الإنجيل لأول مرة؟ هل كانت هناك ظروف صعبة دفعتك إلى البحث عن الحقيقة؟

بيلاطس يجد يسوع بريئاً

أدرك بيلاطس أنه لا يوجد دليل لإدانة يسوع بالموت. فخرج مرة أخرى، وتحدث إلى الحشد الذي تجمع، وأعلن حكمه: غير مذنب (آية 38). لكن الحشد لم يقبل هذا القرار؛ ولاحظ لوقا أنه في هذه اللحظة، صرخ البعض أن يسوع قد تسبب في مشاكل في

الجليل وفي كل مكان ذهب إليه (لوقا 23: 5-6). عندما علم بيلاطس أن يسوع كان من الجليل، ظن أنه يمكنه أن يحيل الحكم على يسوع إلى هيرودس أنتيباس، حاكم منطقة الجليل، الذي كان يزور أورشليم في ذلك الوقت.

لا يذكر يوحنا في إنجيله ظهور يسوع أمام هيرودس أنتيباس، لكن لوقا يكتب أن هذا اللقاء مع هيرودس كان أيضًا بلا جدوى (لوقا 23: 6-12). بعد أن لم يقل يسوع شيئًا ولم يصنع أي معجزة لإرضاء فضول هيرودس، تعرض للسخرية والإهانة وأُعيد إلى بيلاطس للحكم عليه. عندما عاد الرب من هيرودس إلى بيلاطس، كان الحشد في الفناء يزداد عددًا ويزداد اضطرابًا. كان الحماس الديني يتصاعد. كان على بيلاطس أن يرد.

### خيار البديل عن الفصح

فجأة، خطر له مخرج رحيم؛ تذكر أنه مع اقتراب عيد الفصح بعد بضع ساعات، هناك تقليد بإطلاق سراح سجين واحد كعمل من أعمال الرحمة. وأمام الحشد الذي كان أمامه، رفع بيلاطس صوته واقترح هذا العمل الرحيم. عرض عليهم الاختيار؛ واثقًا من أنهم سيختارون المسيح. فقبل أيام قليلة فقط، كان الناس العاديون قد وضعوا أغصان النخيل أمام المسيح وهو يدخل أورشليم راكبًا على جحش. فصرخوا حينئذٍ: «هوشعنا لابن داود» (متى 21: 9). كان بيلاطس متأكدًا من أن النخبة الحاكمة لن تريد باراباس، القاتل والمتمرد (لوقا 23: 19)، لكنه استخفت بكراهيتهم وحسداهم. رفضوا ابن داود واختاروا إطلاق سراح باراباس، القاتل.

لنتخيل كيف كان حال باراباس في الزنزانة تحت الفناء. لم يكن يستطيع سماع المحادثات الفردية، لكنه كان يسمع صيحات الجماهير. عندما عرض بيلاطس على الجماهير الاختيار بين يسوع وباراباس، تحرك كبار رجال الدين بين الجماهير وحثوهم على الصياح باسم باراباس (متى 27: 20). صرخ الحشد بأعلى أصواتهم من أجل باراباس. في الزنزانة، ربما سمع باراباس اسمه يصرخ، تليها كلمات "صلبه".

20 لكن رؤساء الكهنة والشيوخ أقتعوا الحشد أن يطلبوا باراباس وأن يُعدم يسوع. 21 أيهما تريدون أن أطلق لكم؟ سأل الحاكم باراباس، أجاوبوا. 22 فماذا أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح؟ سأل بيلاطس. أجاوبوا جميعًا: «اصليه!» (23) «لماذا؟ ماذا فعل؟» سأل بيلاطس. لكنهم صرخوا بصوت أعلى: «صلبه!» (متى 27: 20-23).

لا شك أن قلب باراباس توقف عن الخفقان عند التفكير في صلبه الوشيك. تخيلوا ما كان يشعر به باراباس بعد لحظات عندما سمع صوت جندي روماني قادم في الممر حاملًا مفاتيح في يده. لا بد أن باراباس قال في نفسه إن وقته قد حان. تخيل صدمته عندما أُخبر بإطلاق سراحه وأن شخصًا آخر قد أخذ مكانه. أصبح حزينًا في المغادرة والذهاب إلى أي مكان يريده. أسقطت جميع التهم الموجهة إليه! أحب أن أتخيل أنه في وقت لاحق، عندما غادر مدينة أورشليم، رأى يسوع مصلوبًا مكانه كبديل عنه ( ).

### كيف تعتقد أن العفو عن باراباس عن جرائمه، قبل وقت قصير من صلبه، قد غير حياته بعد ذلك؟

مثل باراباس، نحن أيضًا نستحق عقوبة الموت العادلة على خطايانا. ومثله، يُعرض علينا عفو مجاني عن أفعالنا الخاطئة في هذا العالم. أخذ يسوع مكاننا وقدم نفسه كبديل عن كل خطيئة. تُحسب هذه الموت البديل لحسابنا الروحي عندما نضع إيماننا وثقتنا في موته من أجلنا وكأنه نحن على الصليب. تخيل لو أن باراباس اختار البقاء في زنزانه الصغيرة بدلًا من الخروج إلى النور. هل يبدو ذلك غير معقول بالنسبة لك؟ لو حدث ذلك، لما أفادته النعمة التي عُرضت على باراباس شيئًا. مثل باراباس، وجدنا جميعًا، في وقت أو آخر، أنفسنا في سجن من صنع أيدينا. الحمد لله، يسوع حررنا. من تشبه أكثر اليوم: بيلاطس أم باراباس؟ عندما تُعرض عليك الحقيقة، هل ستتنازل، كما فعل بيلاطس، أم ستخرج من زنزانتك مثل باراباس وتشكر الله على إرساله بديلًا؟

### جلد المسيح وإذلاله

لاحظ متى أنه بعد إطلاق سراح باراباس، قام بيلاطس بمحاولة أخيرة لتحرير يسوع بأمره بجلده.

<sup>1</sup> ثم أخذ بيلاطس يسوع وأمر بجلده. <sup>2</sup> وقد نسج الجنود إكليلاً من الشوك ووضعوه على رأسه. وألبسوه رداءً قرمزيًا <sup>3</sup> وكانوا يقتربون منه ويلقون عليه التحية قائلين: «سلام يا ملك اليهود!» ويصفعونه على وجهه. <sup>(4)</sup> ثم خرج بيلاطس مرة أخرى وقال لليهود المجتمعين هناك: «ها هو الذي أخرج إليكم لتعلموا أنني لا أجد فيه ذنبًا يستحق الموت». <sup>(5)</sup> ولما خرج يسوع وهو حامل إكليل الشوك والرداء القرمزي، قال لهم بيلاطس: «ها هو الرجل!» (يوحنا 19: 1-5).

كتب لوقا أن دافع بيلاطس لجلد يسوع كان لإرضاء اليهود. قال بيلاطس: «لذلك سأعاقبه ثم أطلقه» (لوقا 23: 16). كان يأمل أن يوقظ جلد ظهر المسيح بعض التعاطف والرحمة تجاه هذا الرجل البريء، وأن يرضي رغبة الجماهير في سفك الدم عندما يرون يسوع. كان الجلد الروماني يُسمى "الموت النصفي" لأنه كان يهدف إلى التوقف قبل الوفاة. ولم يكن يُنفذ مع عقوبة أخرى. ولم يُجلد "اللصان" اللذان كانا سيُصلبان أيضاً. كان القانون اليهودي، *الميثا أريختا*، يحظر إطالة أمد الموت للمجرمين المدانين ويستثني أولئك الذين سيُعدمون من عار الجلد. وبالنظر إلى أن القوانين اليهودية والرومانية على حد سواء تم تجاهلها في معاملة المسيح، فقد عومل يسوع معاملة أسوأ من المجرمين العاديين.

كان الجلد أو الجلد بالسوط طريقة وحشية لإلحاق الألم بالإنسان. كان ظهر يسوع يُمدد على عمود الجلد حتى لا يستطيع الحركة، بينما كان رجلان على جانبيه يجهزان أدوات الجلد. كان الجلد الروماني يأخذ ثلاث أشكال. أولاً، كان هناك الفوستيس، وهو ضرب خفيف بقطع من الجلد يستخدم كإنداز؛ ثانياً، كان هناك الفلاجيلا، وهو ضرب شديد؛ وثالثاً، كان هناك الفيربيررا، وهو أكثر شدة ويتم باستخدام سوط مصنوع من عدة شرائط جلدية مع قطع من المعدن أو العظام مربوطة في نهاياتها. يقول تشاك سميث، الكاتب والقس، إنه مع كل ضربة من الفلاجيلا، كان من المتوقع أن يعترف الضحية بجرمته. إذا صرخ الشخص الذي يُجلد بخبيثة، كان الليكتور (الشخص الذي ينفذ الجلد) يخفف العقوبة حتى لا يستخدم في النهاية سوى الشريط الجلدي. لم يحدث هذا التخفيف مع يسوع، لأنه لم يكن لديه خطايا يعترف بها، ولذلك، مثل الخروف أمام جزاريه، لم يفتح الرب فمه (إشعيا 53: 7).

من المرجح أن صمت المسيح وامتناعه عن الاعتراف بأي خطيئة دفع الحراس إلى استخدام أشد أنواع الجلد، وهو الجلد بالسوط. كان هذا النوع من الجلد يمزق الجلد عن ظهره، تاركاً عظامه وأحشاءه مكشوفة. وقد تنبأ الملك داود بذلك وكتب في سفر المزامير: "كل عظامي مكشوفة، الناس ينظرون إليّ ويشتمون بي" (مزامير 22: 17). لا تحدد الأناجيل عدد المرات التي جُلد فيها يسوع، لكن الرسول بولس جُلد تسعاً وثلاثين مرة في خمس مناسبات مختلفة (2 كورنثوس 11: 24). وتقول التقاليد أن هذا كان صحيحاً أيضاً بالنسبة ليسوع.

حدد قانون موسى عدد الجلد بأربعين جلدة (تثنية 25: 3)، لذا إذا تلقى يسوع تسعة وثلاثين جلدة، فإن الرومان لم يتجاوزوا الحد الأقصى اليهودي. لم يحدد القانون الروماني عدداً محدداً للجلد. بدلاً من ذلك، كان الجلد يستمر حتى يفقد الضحية وعيه ويقترب من الموت. يقول أحد أطباء الطب الشرعي إن مثل هذا الجلد عادة ما يسبب كسوراً في الأضلاع وكدمات شديدة في الرئة وجروحاً تنزف في تجويف الصدر، مما يؤدي أحياناً إلى انخماص الرئة الجزئي أو الكامل (انهيار الرئة). قبل ستمائة عام من المسيح، وصف النبي إشعيا معاناة المسيح بهذه الكلمات:

<sup>4</sup> لقد حمل آلامنا وتحمل معاناتنا، لكننا اعتبرناه معاقباً من الله، مضرّباً منه، ومتألماً. <sup>5</sup> لكنه جرح لأجل معاصينا، وسحق لأجل آثامنا؛ والعقاب الذي جلب لنا السلام كان عليه، وبجراحه شُفينا. <sup>(6)</sup> لأننا جميعاً كغنم ضلّ، كل واحد منا انحرف إلى طريقه، والرب وضع عليه إثمنا جميعاً. <sup>(7)</sup> لقد تعرض للاضطهاد والمعاناة، لكنه لم يفتح فمه؛ قادوه كحمل إلى الذبح، وكغنم أمام جزاره صامت، هكذا لم يفتح فمه (إشعيا 53: 4-7).

عندما انتهى الجلد، لم يكن الجنود الرومان قد انتهوا منه بعد. تجلت كراهية الرومان لليهود في البريتوريوم، ثكنات الرومان، حيث تبادلوا ضرب المسيح وإذلاله. يذكر مرقس أن جميع الجنود (450-600 رجل) تبادلوا ضربه على رأسه بعضاً وبعضاً عليه قبل أن يسخروا منه بالانحناء أمامه كما يفعلون مع قيصر.

16 أخذ الجنود يسوع إلى القصر (أي البريتوريوم) ودعوا جميع الجنود. 17 وألبسوه رداءً قرمزيًا، ولفوا تاجاً من شوك ووضعوه على رأسه. 18 وبدأوا يهتفون له: «سلام لك يا ملك اليهود!» (19) وكانوا يضربونه على رأسه بالعصا ويصقون عليه. ويسجدون له على ركبهم. (20) ولما أتموا استهزاءهم به، نزعوا عنه الرداء الأرجوان ولبسوه ثيابه. ثم أخرجوه ليصلبوه (مرقس 15: 16-20).

قبل أكثر من خمسمائة عام، في العهد القديم، تحدث النبي إشعياء عن عبد الله المتألم الذي أرسل إلى إسرائيل. كتب:

«أعرضت ظهري للذين ضربوني، ووجنتي للذين شقوا لحجي، ولم أخف وجهي من الساخرين والبصاق» (إشعياء 50: 6).

كل ما حدث للمسيح كان جزءاً من خطة الله. في يوم عيد العنصرة، قال الرسول بطرس لأكثر من 3000 يهودي أمامه: "هذا الرجل سلّم إليكم بمشيئة الله ومع علمه المسبق، وأنتم، بمساعدة الأشرار، قتمتم بقتله صلّباً" (أعمال الرسل 2: 23). تحت سلطة الله المطلقة، أعطى الأب ابنه لنا كذبيحة بدلاً عنا عن خطايانا. في صلب يسوع، تناوب اليهود والأمم، الذين يمثلون البشرية جمعاء، على إذلاله. ثم أخذ الجنود المسيح إلى بيلاطس والجموع.

### بيلاطس يبرئ يسوع للمرة الثانية (يوحنا 19: 6-12)

6 ولما رآه رؤساء الكهنة ورؤساء الكهنة ورجال الشعب، صرخوا قائلين: «صلب، صلب». فقال بيلاطس: «خذوه أنتم واصلبه. أما أنا فلا أجد فيه ذنب». 7 فأصر رؤساء اليهود قائلين: «لدينا شريعة، وحسب هذه الشريعة يجب أن يموت، لأنه قال إنه هو ابن الله». 8 ولما سمع بيلاطس هذا، ازداد خوفه (9) ورجع إلى القصر. وسأل يسوع: «من أين أنت؟» ولكن يسوع لم يجبه. (10) فقال بيلاطس: «ألا تتكلم معي؟ ألا ترى أن لي سلطاناً أن أطلقك أو أصلبك؟» (11) أجاب يسوع: «ما لو لم تكن سلطتك قد أعطيت لك من فوق، لما كانت لك سلطة عليّ. لذلك فإن الذي سلمني إليك له خطيئة أعظم». (12) ومنذ ذلك الحين، حاول بيلاطس أن يطلق سراح يسوع، لكن قادة اليهود ظلوا يصرخون: «إن أطلقت هذا الرجل، فأنت لست صديقاً لقيصر. كل من يدعي أنه ملك هو معادٍ لقيصر» (يوحنا 19: 6-12).

أتصور أن بيلاطس صُدم من حالة الرجل الذي أمامه. في المجموع، حاول بيلاطس خمس مرات أن يطلق سراح الرب (كما هو مسجل في لوقا 23: 4، 15، 20، 22، ويوحنا 19: 4، 12، 13). هذه المشهد الرهيب للرب يسوع المجلود أمام الجموع قد تنبأ به إشعياء قبل أكثر من خمسمائة عام.

وكما كان هناك الكثيرون الذين شعروا بالفرح منه - فقد كان مظهره مشوهاً إلى درجة أنه لم يكن يشبه أي إنسان، وشكله مشوهاً إلى درجة أنه لم يكن يشبه الإنسان (إشعياء 52: 14).

ضُرب المسيح ضرباً مبرحاً لدرجة أن وجهه تشوه، ولم يعد يبدو كإنسان. قدم بيلاطس يسوع إليهم قائلاً: «ها هو الرجل!» (يوحنا 19: 5ب). وقف أمامهم أكثر إنسان كامل ومحِب ورحيم رآه الأرض على الإطلاق. ها هو الله في الجسد، يظهر لنا ما هو الله بطريقة يمكننا أن نفهمها، لكن البشر رفضوه. تصف الكتب المقدسة يسوع بأنه مرفوض من الناس، رجل آلام، ومألوف في الحزن (إشعياء 53: 3). عندما أحضر يسوع إلى الجموع بعد جلده، بدأوا على الفور يصرخون: "صلب! صلب!"

لا ينبغي أن نفترض أننا لو كنا هناك، لكنت الأمور مختلفة. فطبيعة الإنسان نفسها ومشكلة الخطيئة موجودة في قلوبنا تمامًا كما كانت في قلوبهم. نحن جميعًا نرى أنفسنا في تلك الساحة. الطريقة الوحيدة للتحرر من طبيعتنا الخاطئة هي أن يكون هناك بديل يأخذ ذنوبنا على نفسه ويزيلها. شكرًا لله على يسوع. إنه حمل الله الكامل.

مرة أخرى، رد بيلاطس على الجماهير للمرة الثانية عندما وجد يسوع بريئًا، قائلاً: "خذوه وأصلبه. أما أنا، فلا أجد فيه ذنبًا يستحق الموت" (يوحنا 19: 6ب). لماذا لم يوقف بيلاطس الإجراءات في تلك المرحلة؟ إذا كان يسوع قد أعلن براءته، فلماذا استمرت التهم الموجهة إليه؟ أصر قادة اليهود قائلين: "لنا شريعة، وحسب هذه الشريعة يجب أن يموت، لأنه ادعى أنه ابن الله". فلما سمع بيلاطس هذا، ازداد خوفه أكثر (يوحنا 19: 7-8 أ).

أحيانًا ألتقي بأشخاص يدعون أن يسوع لم يقل أبدًا إنه ابن الله، لكن أعداء يسوع اتهموه بأنه ادعى ذلك بالضبط (يوحنا 19: 7)، مما أعطى السلطات الدينية سببًا لقتله.

ثم استأنف اليهود أمام بيلاطس استنادًا إلى شريعة موسى التي تنص على أن "كل من يجدف على اسم الرب يقتل" (لاويين 24: 16).

### السلطة والمساءلة (يوحنا 19: 9-11)

كان الرومان يحكمهم الخوف من آلهتهم المتعددة. ربما لاحظ بيلاطس أنه لا يبدو أن هذا الرجل يخاف، فقد تحمل عذاب الجلد دون أن يعترف بأي ذنب. ربما دفع سلوك المسيح بيلاطس إلى التساؤل عما إذا كان هذا الرجل هو حقًا ابن الله. وربما تذكر أيضًا تعليق زوجته بأن لا يتورط مع هذا الرجل البريء (متى 27: 19). ثم أخذ بيلاطس يسوع إلى مقر إقامته مرة أخرى ليتحدث معه على انفراد. "من أين أنت؟" سأل يسوع، لكن يسوع لم يجب عليه (يوحنا 19: 9). على الرغم من أنه كان مغطى بالدماء التي كانت تتساقط على أرضية بيلاطس، كان يسوع ملكيًا في صمته ومسيطرًا تمامًا. كان بيلاطس هو الذي كان على المحك. لم يتوسل يسوع من أجل مخرج. كان ملتزمًا تمامًا بخطة الأب.

حاول بيلاطس مرة أخرى أن يطلق سراح يسوع (آية 12)، لكن قادة اليهود أصروا. بعد محادثة بيلاطس الحميمة الأخيرة مع يسوع وإعلانه الثالث لهم عن إيمانه ببراءة المسيح، صرخ قادة اليهود: "إن أطلقت هذا الرجل، فأنت لست صديقًا لقيصر. كل من يدعي أنه ملك هو معادٍ لقيصر" (يوحنا 19: 12).

### رفض الملك يسوع (يوحنا 19: 13-16)

وجد بيلاطس نفسه في موقف صعب، حيث كان عليه أن يقرر أي مملكة يخدم. إصدار حكم "غير مذنب" كان سيهدد مسيرته السياسية. كانت روما ستعاقبه لعدم إدانة شخص تحدى سلطة قيصر علانية. وحيث كان بيلاطس مستقرًا في منصبه كحاكم، فضل إدانة رجل بريء على أن يسمع قيصر عن سوء قيادته. ففي غضب شديد، رضخ قائلاً:

24 ولما رأى بيلاطس أنه لا يصل إلى شيء، بل أن الضجة بدأت تزداد، أخذ ماء وغسل يديه أمام الجموع وقال: «أنا بريء عن دم هذا الرجل. أنتم مسؤولون عنه!»<sup>25</sup> فأجاب جميع الشعب: «دمه علينا وعلى أولادنا!» (متى 27: 24-25).

أتمنى أن يمكن إزالة الذنب والمسؤولية عن خطابانا بمجرد غسل أيدينا. لو كان الأمر بهذه السهولة! هناك شيء واحد فقط يزيل الخطيئة: دم المسيح الذي سقك على الصليب كقديرة كاملة عن الخطيئة.

فأذن لهم بيلاطس: «ها هو ملككم»، قال بيلاطس لليهود. <sup>15</sup> فصاحوا: «خذوه! خذوه! اصلبه!» "هل أصلب ملككم؟" سأل بيلاطس. "ليس لنا ملك إلا قيصر" أجاب رؤساء الكهنة. (16) وأخيراً سلمه بيلاطس إليهم ليصلبه" (يوحنا 19: 16-15).

من المدهش أن نعتقد أن القادة الحاكمين اعترفوا في هذه اللحظة بأن قيصر هو ملكهم. كان شعب الله يعتبر نفسه متميزاً ومقدساً، لا يليق أن يحكمه ملك آخر، لكن قادة إسرائيل أعلنوا استعدادهم للحكم بقيصر بدلاً من يسوع. يجب على كل واحد منا أن يتوخى الحذر ألا يرتكب نفس الخطأ في اختيار من سيخدم.

يعكس موقفهم موقفاً شائعاً على مدار الألفي عام الماضية: "لا نريد هذا الرجل أن يحكمنا!" هذا هو جوهر المسألة؛ هل ستقبلون هذا الملك، هذا يسوع، أن يحكمكم؟ إنه الذي بذل حياته من أجلكم. قبل ألفي عام، رفضت الجماهير حكم الله وملكوته. واليوم، لا تزال القصة كما هي. معظم الناس يرفضون يسوع ببساطة لأنهم يحبون خطاياهم ويرفضون الخضوع لأي شخص آخر. إنهم لا يريدون يسوع لأن ذلك يعني أن يقولوا لا لأنفسهم ونعم له. إنه تحول جذري في الولاء. كل يوم، نواجه خيار المملكة التي سنخدمها.

نشكر الله على يسوع، حمل الله الكامل. هو الوحيد الذي استطاع أن يدفع ثمننا بالكامل، كونه ذبيحة كاملة بلا خطيئة، تماماً مثل حمل الفصح. نشكر الله أن الموت ليس له سلطان علينا بسبب ذبيحة محبته.

صلاة: شكراً لك يا أبي لأنك أرسلت ابنك إلى العالم ليغفر لي ذنوب خطاياي. اليوم، أدعو المسيح أن يدخل حياتي ويغفر لي كل خطاياي. أريد أن أكون طاهراً وحرّاً من سجن عبودية الخطيئة. آمين!

كيث توماس

الموقع الإلكتروني: [www.groupbiblestudy.com](http://www.groupbiblestudy.com)

يوتيوب: <https://www.youtube.com/@keiththomas7/videos>

البريد الإلكتروني: [keiththomas@groupbiblestudy.com](mailto:keiththomas@groupbiblestudy.com)